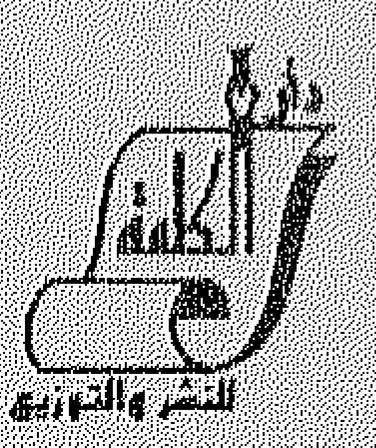
نظرة الغرب إلى الإسلام

عبد المجيد صبح

من علماء الأزهر



نظرة الغرب إلى الإسلام

الطبعة الأولى

١٤١٨هـ - ١٩٩٧م

رقم الايداع : ١٣٨٨٧ / ٩٧

الترقيم الدولى : 917-5826-56-x

دار الكلمة للنشر والتوزيع ـ مصر

المنصورة ٣ ش الثورة (السكة الجديدة) ت، ف: ٣٤٣١١٥

من

قضايا الإسلام والمسلمين

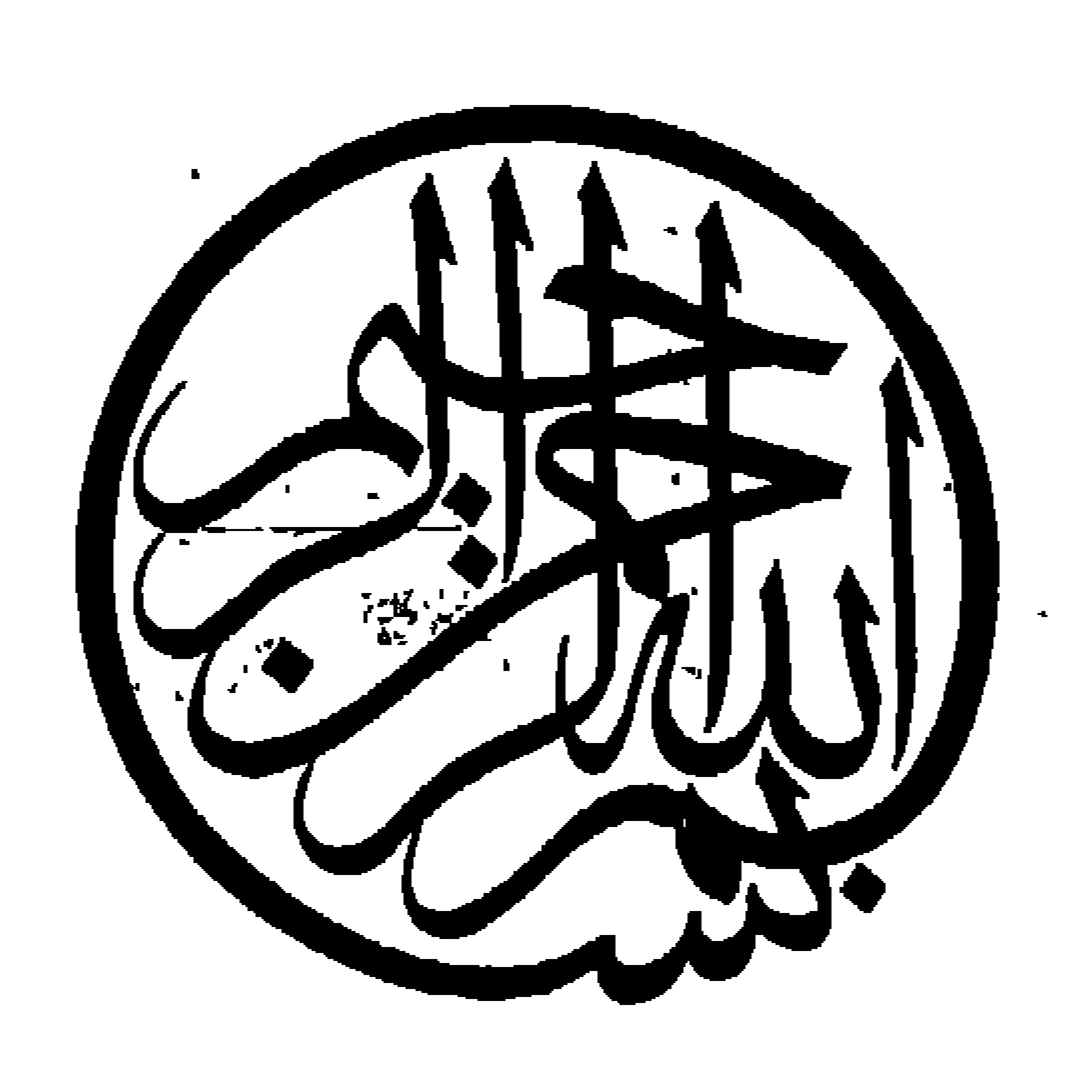
في الغرب

(١)



عبد المجيد حامد صبح

دار الكلمة للنشر والتوزيع ـ مصر



بسم الله الرحمن الرحيم

(١)

فى الإخاء الإنسانى

١ـ جاءتنى، فى شهر أغسطس سنة١٩٩٢ دعوة من بعض الجاليات الإسلامية فى أمريكا الشمالية؛ لزيارتها والقيام ببعض واجبات الدعوة إلى الإسلام.

وأجبت الدعوة وأنا أحسب أننى ذاهب إلى قوم تفتحت عيونهم على آفاق جديدة، فى تلك الأرض الجديدة، فاتسعت مداركهم، وامتدت آفاق فكرهم إلى متسع من تطورات الحياة ومدنيتها، فيساعدهم ذلك على فهم صحيح للإسلام، وإدراك حقائق من حقائقه، لا يدركها من لم يمس الحياة فى رُحبها واتساع مدنيتها !

٢ـ ولكن الفجاءة كانت مفجعة، أليمة الوقع على نفسى، وعلى الحق والحقيقة، ولا سيما فى المصريين المسلمين هناك، والذين مضى على كثير منهم سنوات عديدة، عرفوا فيها الحياة المدنية الأمريكية معرفة جامعة.

وكذلك كانت مفاجأتى من وسائل الإعلام، وأصحاب القلم، فى الفهم غير السليم للإسلام وتاريخه.

أما عامة الأمريكيين فلهم شأن غير هؤلاء وهؤلاء.

وتكَوَّن من كل هذا أمامى ثلاثة ميادينَ للعمل الإسلامى:

ميدان المسلمين المهاجرين وأكثرهم من المصريين، ومعهم أخلاط من جنسيات أخر. وميدان عامة الأمريكان. وميدان الإعلام.

أما الميدان الأول والثانى فلأرجئ الحديث عنهما إلى حين. أما الميدان الثالث فقد كان من جولاته هذا المؤتمر :

٣- فى بروكلين Brooklyn أحد الأقسام الخمسة التى تتكون منها مدينة نيويورك، عقد مؤتمر صحفى يوم الجمعة ٨ يناير ١٩٩٣، الساعة الثالثة بعد الظهر فى قاعة اجتماع خاصة، بشارع فلات بوش Flatbush،وحضـر المؤتمر أ. فتحى حجازى، مستشار التحرير بجريدة (صوت السلام)، وأ. د. محمد مهدى السكرتير العام للمؤتمر الإسلامى، والذى تولى الترجمة بينى وبين مندوب وكالة أنباء (رويتر).

وكان موضوع المؤتمر: علاقة الإسلام والمسلمين بالأديان الأخرى وبغير المسلمين.

وقد نبهت على أن وسائل الإعلام الأمريكية يفوتها أمر مهم، وهو: وجوب أخذ المعلومات عن الإسلام من مصادرها الإسلامية الصحيحة، ومن المتخصصين، وليس من عوارض الوقائع، ولا من سلوك بعض المسلمين غير الملتزمين؛ فإن فوت ذلك يشوه حقائق الإسلام، ويجنى على الحق والحقيقة. فعليهم بأهل العلم، وبالرجوع إلى مصادر الإسلام الأصلية: القرآن، والسنة، وإلى تاريخ الإسلام، فإن ذلك أهدى إلى الحق، وأقوم سبيلا. وبناء على هذا المنطلق، وتأسيسا عليه قلت:

٤ـ إن القرآن الكريم، وهو كتاب الإسلام الأول، يقرر قاعدتين عامتين، هما دعامة العلاقات الخارجية فى الإسلام، ومنهما تنطلق تصرفات المسلمين، وإليهما ترجع روابط الأمة الإسلامية بغيرها. وسوف نرى ـ إذا تعجلنا الاستنباط ـ أنهما قاعدتان إنسانيتان، تجعل الإسلام دينا عالميا، وإنسانيا، وليس دينا قوميا ولا جنسيا.

القاعدة الأولى: أن الناس جميعا ـ فى تقرير القرآن ـ يرجعون إلى أب واحد، وإلى أم واحدة، يقول الله: ﴿ **ياأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحد وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء** ﴾(النساء: ١)ويقول: ﴿**ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾(الحجرات: ١٣). والإسلام بذلك يقرر قاعدة إنسانية جامعة هى: الإخاء الإنسانى العام، فالناس جميعا يربطهم ـ فى نظرة الإسلام ـ إخاء جامع مرده إلى وحدة أصلهم فى أب، وأم واحدة، وأن اختلافهم وتنوعهم إلى شعوب وقبائل غايته (التعارف)، بمعنى: تبادل المنافع والخبرات، وتلاقح الأفهام والعلوم، فهو اختلاف للتكامل وليس للتنازع.

القاعدة الثانية: أن الاختلاف بين الناس شأن طبيعى، ليس فى قدرة الناس تغييره لأنه شأن إلهى خارج عن مطلوب البشر، يقول القرآن فى ذلك: ﴿**ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون**

مختلفين. **إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم﴾**(هود: ١١٨، ١١٩).

٥ـ على هاتين القاعدتين حدد الإسلام العلاقة بين المسلم وغير المسلم، مهما اختلفت العقيدة، أو الديانة، أو اللون، أو القومية، أو أى نوع من أنواع الاختلاف، التى يتخذها بعض الناس ذريعة إلى التفرقة، والتحارب، كما نشاهد من مآسى: التمييز العنصرى، أو الدينى، أو العرقى، كما نشاهد ونعلم بين السود والبيض، وفى فلسطين، وفى كشمير، والبوسنة، . . . وكلها تمثل ـ فى نظر الإسلام ـ انتكاسة إنسانية وحضارية!! بينما الإسلام يقيم هذه العلاقة على قواعد عامة فى تطبيقها، إنسانية فى مفهومها، هى: العدل، والإحسان، والبر. فالمسلم لابد أن يعدل عدلا مطلقا، ولو مع غير المسلم ممن يخالفه فى العقيدة، ويحسن إليه، ويبره بأنواع الخير. هذا مايقرره القرآن فى مواضع متعددة، منها فى سورة المائدة: **﴿ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾** (المائدة: ٨). وفى سورة الممتحنة: **﴿لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين. إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون﴾**(الممتحنة: ٨، ٩).

وعندما سئل رسول الله ﷺ، أى الإسلام خير؟ أجاب

السائل: «**تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف**» (البخارى كتاب الإيمان) هذا (السلام) الذى هو أعز مطالب أهل الأرض اليوم، هو من مقررات الإسلام منذ نزوله، ويجعله مبذولا للعالمين، من عرفت ومن لم تعرف. يقول عمار صاحب رسول الإسلام ومن أقدم السابقين، فهو أعلم به وبدينه: ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان: الإنصاف من نفسك، وبذل السلام للعالم. والإنفاق من إقتار (فى الإيمان). وتمر جنازة على نبى الإسلام فيقوم لها، فلما قيل له: إنها جنازة يهودى، قال كلمته الإنسانية الرائعة: «**أليست نفسا ؟!!**»(البخارى)فهل تجدون ـ فى غير الإسلام ـ مثل هذه القيم الإنسانية، وتقريراتها العملية؟!

٦ـ إن مبادئ الإسلام ليست أمثلة نظرية مجردة، ولا تقريرات ذهنية، مكانها حيز العقل. إنما هى مبادئ عملية ممكنة التطبيق الذى شهد له الواقع.

لقد عرفت البشرية نظريات (مثالية) مثل: جمهورية أفلاطون، والمدينة الفاضلة للفارابى. ثم تبين للناس أنها (مُثُل) لا تتجاوز الذهن إلى الواقع. أما مبادئ الإسلام فقد طبقها المسلمون، وحفظ التاريخ وقائعها لأكثر من ألف وثلثمائة عام، وشهد لها أشهاد من علماء غير المسلمين، من أمثال الفيلسوف المؤرخ الفرنسى (غوستاف لوبون) الذى قال: لم يعرف التاريخ فاتحا أعدل ولا أرحم من العرب المسلمين».

وتاريخ الحروب الصليبية، كما سماها مشعلوها من أهل الغرب، شاهد صدق على عظمة قيم الإسلام، وتحققها، وتطبيقها من المسلمين على غيرهم.

٧ـ قلت لمراسل (رويتر): هل من العدل، أو من العقل إذا خالف بعض المسلمين المبادئ الإسلامية، بعضها أو كلها أن يحمل ذلك على الإسلام ؟ إن الثورة الفرنسية قامت لتحقيق مبادئ: الإخاء، والحرية، والمساواة. وكان أول الخارجين على هذه المبادئ هم الفرنسيون أنفسهم، ولا سيما (نابليون) فهل تعاب هذه المبادئ لخروج الخارجين عليها ؟ وأمريكا تدعى أنها تقوم على (الليبرالية) فهل هى تطبق مبدأها هذا فى تعاملها مع الشعوب الضعيفة ؟ هل مانادت به، مما سمته ـ الشرعية الدولية،ـ أو النظام العالمى الجديد ـ تطبقه بإنصاف ومساواة ؟ هل موقفها من البوسنة والهرسك يتفق وما نادت به؟ وقل مثل ذلك عن مواقفها غير المتوازنة من قضايا فلسطين، وكشمير، وبورما، وغيرها وغيرها !

٨ ـ يقينى ـ بعد هذا البيان ـ أنكم بحاجة إلى فهم الإسلام فهما محايدا لتعطوه حقه، وبذلك نستطيع معا أن نجلس إلى مائدة الإخاء لنصرة الحق.

وإلى هنا انتهى اللقاء، وكانت الخاتمة أن قال مصور الوكالة: لقد عرفت فى هذا اللقاء عن الإسلام ما لم أعرفه على مدى ثلاثين عاما. وشكرته.

(٢)

الإسلام غير مفهوم للغربيين

في لقاءات متكررة مع مراسلى الصحف فى نيويورك، وبعض محطات التلفاز قلت لهم: حديثى معكم يدور حول ثلاث نقاط:

١ـ الإسلام غير مفهوم من عامة أهل الغرب وغير مُنْصَف من الفاهمين، إلا من خلص منه الضمير، وقليل ما هم.

وبسبب عدم الفهم والإنصاف يُصْدرون على الإسلام أحكاما جائرة؛ لمقدمات باطلة.

ولو رجع هؤلاء وهؤلاء إلى المحقين والمحققين من علماء الغرب لاطلعوا على إقرارات عادلة، وشهادات منصفة، ولأقروا بعظمة الإسلام، ولأدهشهم نظامه.

من هؤلاء المنصفين عالم الاجتماع البولندى ZEJIERSKI، الذى أسلم وتسمى باسم: إسماعيل.

ومنهم ROAFE البريطانى، الذى درس الأديان المعروفة دراسة متخصصة فاختار الإسلام دينا، وتسمى باسم: رءوف.

وفى كتاب تاريخ الفلسفة الغربية المطبوع فى لندن سنة ١٩٤٨ يقول المؤرخ الفيلسوف BERTRAND RUSELL : إن إطلاقنا اسم

العصور المظلمة لتشمل ما بين سنتي ٦٩٩ - ١٠٠٠ م لدليل على أننا نحصر اهتمامنا في غرب أوربا دون وجه حق، فمن الهند إلى أسبانيا كانت حضارة الإسلام مزدهرة حينئذ. وماكانت تفقده البلاد المسيحية في ذلك الحين لم تكن تفقده المدنية عامة !

ويقول ROAFE البريطاني: درست الحضارة الإسلامية في جامعة إنجليزية، وأدركت، بكل تأكيد، أنها هي التي أخرجت أوربا من العصور المظلمة، وإن كثيراً من العلوم الحديثة يعود الفضل فيها إلى الإسلام.

ومن غرائب المصادفات أنني كنت أقرر هذه الحقيقة في بعض محاضراتي في Brooklyn في مدينة نيويورك (.N.Y) وإذا الرئيس الأمريكي الأسبق، في اليوم التالي يعقب، في مقال، على عزم الرئيس الأمريكي (كلينتون)زيادة الضرائب بأنه وهو رئيس أمريكا عمل برأي العالم العربي ابن خلدون الذي قال: في بداية الإمبراطورية يكون معدل الضرائب منخفضا والإيرادات مرتفعة، وفي نهايتها يرتفع معدل الضريبة وينخفض العائد (نيويورك تايمز عدد ١٨/ ٢/ ١٩٩٣م)

٢ـ أما النقطة الثانية من حديثي فيلخصها هذا السؤال: ما هي الفلسفة التي يقوم عليها الإسلام في بناء المجتمع الإنساني؟.

ومعذرة عن استخدام كلمة (فلسفة)؛ فهي كلمة بشرية لا تليق

بدين سماوى، ولكن قصدتها لإظهار البناء الهيكلى لدين الإسلام فى بناء المجتمع العالمى. وإنى أوجز لكم هذا البناء فى فقرات:

أـ الإسلام دين السلام العالمى، وينادى المؤمنين به أن يدخلوا فى هذا السلام العام **﴿ياأيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين﴾** (البقرة: ٢٠٨). ويقول لهم: **﴿ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا﴾** (النساء: ٩٤).

ويجعل تحيته هذه، التى لا يردها على من ألقاها: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته!

واسم هذا الدين: إسلام، لو حذفنا حرفه الأول فهو سلام. ويقرر القرآن أن تحية الله للمؤمنين فى الجنة هى(السلام). فيقول: **﴿تحيتهم يوم يلقونه سلام﴾** (الأحزاب: ٤٤). ويقرر أن تحية الملائكة لهم هى السلام فيقول: **﴿والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم﴾** (الرعد: ٢٣ـ٢٤) ويسمى الجنة دار السلام فيقول: **﴿والله يدعو إلى دار السلام﴾** (يونس: ٢٥).

ففكرة (السلام) فى الإسلام أصيلة تبسط أرواقها ابتداء من تحية اللقاء فى الدنيا إلى الدار الآخرة وحسبهم أن (السلام) اسم من أسماء (الله) رب العالمين، الذى يؤمن المسلمون بأنه رب الناس أجمعين.

ب ـ وبناء على هذا الأصل يحرم الإسلام حرب العدوان، فيقول: ﴿**ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين**﴾ (البقرة: ١٩٠).

ويحصر الحرب فى ثلاثة أسباب لا ينكرها منصف:

ـ الحرب الدفاعية ضد من يعتدى ﴿**فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم**﴾ (البقرة: ١٩٤).

ـ الحرب الوقائية ضد من يثبت كيده للمسلمين ﴿**وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين**﴾ (الأنفال: ٥٨).

ـ حرب التحرير، ضد المستكبرين الذين يستذلون المستضعفين، ويستبدون بالشعوب، ويحرمونها حق الحرية فى استماع دعوة الإسلام، ويقهرونها على الكفر... يقول: ﴿**وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان....**﴾ (النساء: ٧٥).

والإسلام ـ بهذا المنهج المحدد المقنن ـ يخضع الحرب السياسية لمبادئ الأخلاق. وهذا شيء جديد على الدنيا منذ فجر الإسلام، ومازال جديدا على سياستها، التى تحارب للاستيلاء على خيرات الأمم، والاستبداد بمواردها !!

إن (فكرة) اتهام الإسلام بالإرهاب، وزعم أنه ديـن إرهـابى

(Terrorist) فكرة خـاطئة، وزعم مغرض، ووصف للحقيقة بنقيضها، والحقائق لا تقبل النقائض !!

جـ ـ وعلى ما تقدم يقرر الإسلام: الإخاء الإنسانى، الذى يرد فيه الناس جميعا إلى أب واحد وأم واحدة، ليجعل من هذه الرحم الماسة ملتقى تلتقى عنده البشرية كلها لتتعارف وتتعاون وتتبادل المنافع، وتقيم سلاما عالميا ترتاح فى ظله البشرية من أوضار العصبية،وسخائم التمايز بالجنس أو اللون أو الأرض. . !

د ـ والإسلام عقيدة تقوم على توحيد الإله، ومساواة البشر جميعا أمام (الله) فليس لأحد منزلة خاصة عند الله إلا بمقدار: الإيمان والعمل الصالح. وهذا ميزان عادل مفتوح لكل البشر، من كل جنس ولون.

هـ ـ والإسلام نظام حياة متكامل، له أحكامه وقانونه الذى يشمل: السياسة، العلاقات الدولية والداخلية. وله نظامه فى المال والاقتصاد، وله نظامه وأحكامه فى القيم والآداب. وله نظام للأسرة، فيه عناية خاصة بالمرأة والأولاد. وهو نظام سباق، له ـ فضيلة السبق ـ مع فضيلة الإنصـاف وموافقـة الفطرة. إن (المرأة) فى انجلترا مثلا وهى أعرق دول غرب أوربا فى الديمقراطية ـ لم تعترف بحق المرأة فى التملك إلا سنة ١٩١٢!!

٣ـ أما النقطة الثالثة، فيوجزها سؤال: ماذا ينقم المنصف من

نظام الإسلام ؟ هل يستطيع الذين ينقمون عليه أن يقدموا للبشرية خيرا منه، أو مثله ؟! أم أن معرفة الإسلام بقيمه ونظامه العالمى هى سبب معاداته والحملات عليه ؟!

بماذا نفسر هذه الحملات العالمية على الإسلام والمسلمين؟ كيف يرضى الضمير العالمى ـ إن صح له ضمير ـ هذه المآسى الأخلاقية؟

ألا إنها سوف تكون وصمة عار فى تاريخ الغرب عامة، وأمريكا خاصة، وعلى مدى التاريخ، فهل ترضون لتاريخكم ذلك؟

هل تستطيعون أن تقدموا تحليلا عادلا لاختلال ميزان التعامل الغربى مع المسلمين، دون سواهم. وعند ذلك نسألكم أين دعواكم: الحرية ؟!

لم تلومون (ردود الفعل العنيفة) متجاوزين دوافعها ؟

أذلك حلقة أخرى من سلسلة التمييز العنصرى، وعـــدم الإنصاف؟!

(٣)

الإسلام مظلوم من الغربيين

١ـ كان حادث التفجير، غير الناجح، فى مركز التجارة العالمى (World Trade Centerr)فى منهاتن(Manhatten) نيويورك (N.Y.) ـ كان هذا التفجير، من ناحية أخرى، بمثابة قنبلة التربص المكنون المحشو بالعداء، والكراهية، وإن شئت قلت: والحقد الدفين على الإسلام والمسلمين، لاسيما فى أمريكا خاصة، والغرب عامة. كان هذا التفجير غير الناجح تفجيرا لكل هذا المكنون فى الصدور من الكره غير العادل.

لقد سرت أقوال تردد أنه من تدبير(الموساد) الإسرائيلى، ولكن ما إن وقع الحادث حتى انطلقت جميع وسائل الإعلام، بأنواعها المتعددة، من صحف وإذاعة وتليفاز، ويسمونها فى أمريكا (ME-DIA)ـ انطلقت كل هذه الأجهزة، بما لها من قوة التأثير والتكوين للرأى العام الأمريكى، وفى سلوك الأمريكيين ـ انطلقت تصف الإسلام بالإرهاب (Terrorism) والمسلمين بالإرهابيين: (Terror-ists). وأخذت تثير قضايا منتهية، قال القضاء الأمريكى فيها كلمته، مثل قتل الحاخام (Rabbi) كاهانا، المتهم فيها المصرى الأمريكى: سيد نصير، الذى برأته المحكمة من تهمة القتل،

وحكمت عليه بالسجن اثنتين وعشرين سنة لتهم أخرى ملابسة لتهمة القتل. وقد تولد عن ذلك محاكمته فى السجن والحكم عليه بالحبس الانفرادى أربع سنوات.

وأخذت (الميديا) كذلك تثير قضايا معلقة مثل قضايا الشيخ عمر عبدالرحمن، دخوله إلى أمريكا، إقامته فيها، هل له دخل فى قضية التفجير ... ؟ وقدم إلى المحاكمة بتهمة الدخول غير المشروع والكذب فى طلب تأشيرة الدخول. وحكمت المحكمة بإخراجه، واستأنف الحكم. وتكاثرت عليه وسائل الإعلام، تسأله، وتحاوره، تسأله عن قضية مقتل المجاهد (مصطفى شلبى) الذى كان يدير مكتب الجهاد لحساب المجاهدين الأفغان. وأنكر الشيخ معرفته به، وهم لاشك عندهم فى أنه يعرفه، مما دعاه إلى أن يقول، بعد، إنه يلتقى بكثيرين مما يجعله يذكر أناسا وينسى آخرين. وكم ساءنى، بعد، أن سجل الحكم برفض طلب لجوئه السياسى أنه كذب، وكذب فى بيانات طلبه تأشيرة الدخول إلى أمريكا. ويذاع ذلك فى إذاعات العالم. هذا ما سجلوه بزعمهم.

توسعت الميديا وبالغت، وتجاهلت أقاويل اتهام الموساد، ووجهت الأنظار والأفكار إلى الإسلام والمسلمين، يساعدها على هذا التوسع اعتقال (محمد سلامة) فلسطينى يقيم فى ولاية نيوجيرسى (New Jersey) وأحد المصلين فى مسجد السلام بهذه

الولاية. وكان من نتائج هذا التوسع قيام يهود (نيوجيرسى) بمسيرة اعتدوا فيها على مسجد السلام، حتى أصبحت المساجد فى هذه الولاية وغيرها فى خوف من العدوان، إلى أن صرَّح عمدة نيويورك بأن ذلك لن يكون.

وكرد فعل لهذا الخوف، وهذا التوسع، وتلك المسيرة قام المسلمون الأمريكان، ولاسيما المسلمون الأمريكان السود، بالتجمع حول مسجد السلام، وأخذوا فى الهتاف ضد الصحافة ووسائل الإعلام، واتهامها بأنها لا تقول الحق:

(Media doesn't speak truth) ويعلنون تمسكهم بالإسلام، فى نغمة رائعة:

(There is no GOD غير الله ،Mohammed is a massenger)

٢ـ فى غمرة هذه الأحداث وتطوراتها قبض على رئيس مجلس إدارة مسجد أبى بكر الصديق فى (Brooklyn) الذى كان المركز الرئيسى لنشاطى فى الدعوة؛ لذلك تكاثرت علىّ طلبات المراسلين للحديث والأسئلة والاستفسارات. ولم يكن يخفى على الفطن ما وراء أسئلتهم من ظلال الاتهام، وخروجهم عن موضوع حادث الانفجار إلى الأسئلة عن الرأى فى الشيخ عمر عبدالرحمن، ومصر، ومبارك، وفى أمريكا ذاتها !

وكان للتليفزيون اليابانى نصيب من هذه اللقاءات. يسألوننى وأجيب، ومعظم الأسئلة تدور حول الإسلام وعلاقته - بزعمهم - بالإرهاب. وعن المسلم،هل هو حقا إرهابى بحكم أنه مسلم؟ إنها لهم فرصة لإخراج دفين الحقد على الإسلام وصحوة المسلمين، وفى الحق كان منهم محايدون يبتغون معرفة الحقيقة. أما أكثر ماكتب فكان كيل التشكيك والاتهام بدءا من الإرهاب وانتهاء (بالأصولية). وهذا اتهام يذكرنا بالمثل العربى: رمتنى بدائها وانسلت. (فالأصولية)(النّصيّون) (Fundamentalists): اسم لحركة دينية بروتستانتية ظهرت فى الولايات المتحدة الأمريكية مع الحرب العالمية الأولى،حين صدرت سلسلة من الكتيبات والنشرات تحمل العنوان: «الأصوليون دليل الحق» تعرض مبادئهم وما يرونه أصول العقيدة: الإيمان بالإنجيل جملة وتفصيلا، كسجل تاريخى واقعى، ونبوءة تاريخية لا تقبل الجدل سواء فى قضايا الأخلاق، أو العقيدة، أو أحداث التاريخ، ومن ثم قبول كل ما ورد فيه، والإيمان به على ظاهره، كحقيقة مؤكدة، دون تأويل. ولا يعنينا الآن بيان الفوارق بين هذه (الأصولية) وأصحابها وبين الصحوة الإسلامية، والدعوة إلى الإسلام كنظام عام شامل للحياة. إن الذى يعنينا الآن هو تلك المحاولات الملحة لوسم المسلمين بكل مخوف من الإسلام لدى الغربيين عامة، والأمريكان خاصة.

٣ـ ومن ثم تركزت إجاباتى فى جوهر الموضوع بعيدا عن المحاولات الجانبية، وخلاصتها فى النقاط الآتية، تحت عنوان: هذا بلاغ للناس:

١ـ تعلمون الأحداث الواقعة: تفجيراً، موتى، مصابين. وتعلمون ما ترتب عليها: احتجاجاً، احتجازاً، اتهاماً، تظاهراً، وعدواناً على مسجد السلام يحتمل أن يقع مثله على مساجد أخرى، وتخويف المسلمين، توسيع الاتهام، الانتقال من تهمة الفرد إلى اتهام الجميع، الانتقال من الشخص إلى الفكر وإلى الدين.

٢ـ إن الإسلام يدرأ التهم بالشبهات، وواقعنا ـ فى هذه الأحداث ـ يقيم التهم بالشبهات !! إن (الإسلام) يرى (الإنسان) بريئا فى الأصل، فلا يسأل عن دليل براءته، وعلى من يتهمه أن يقيم دليل اتهامه. إن (الإسلام) يقيم علاقته (الإخاء الإنسانى) بين المسلم وغيره، من غير اعتبار لاختلاف الدين، أو اللون، أو الأرض، أو اللغة، فلماذا ينسى هذا الأصل الإسلامى الفريد، ويوصف الإسلام والمسلمون بما هو وهم براء منه ؟! إن (الإسلام) يأمر بالعدل المطلق، والإحسان المطلق، فهلا يعامل المسلمون بمثل ما يأمر به إسلامهم؟! إن الإسلام يجعل قوام الحياة: الأمن والأمان، فلماذا يخوَّف المسلمون، ويروَّع الآمنون؟! دين الإسلام

يقول: ﴿هاتوا برهانكم﴾، البرهان عندنا عقل ودين !! البرهان شيء محسوس كالشمس والنهار. وهو فوق (الدليل) الذى قد يكون أمرا عقليا نظريا، وهو فوق القرينة التى هى ملابسات المدلول. ولم يقم برهان، ولا دليل، ولا قرينة، على اتهام من أكثرت (الميديا) اتهامهم !! فبأى دين، أو عقل، أو قانون تنشر وتعلن الاتهامات ؟!

٣- نحن نطلب من غيرنا احترام العقائد، ورغاية المشاعر، والتعامل بالإخاء، والحكم بالعدل، والمساواة، من غير تمييز، والتعايش، من غير تحيز أو تفريق !

٤- أيها المسلمون، إن المصائب تجمعن المصابين، هذا يومكم الذى تثبتون فيه وجودكم، وتدافعون فيه عن دينكم، وتدرأون فيه الشبهات عنكم، هذا يوم تكونون على الصورة التى يحبها الله (كالبنيان المرصوص) فلنكن صفا واحدا، وقلبا موحِّدا، وعملا هادفا، ولتكن لنا قيادة موحدة: تخطط، وتعمل. ألا فلنكن جميعا فى خدمة الحق، والعدل، والخير، وعلى الله قصد السبيل.

(٤)

الإسلام دين عالمى

١ـ حسبت ـ عندما جاءتنى دعوة من الجالية العربية والمصرية فى نيويورك ـ أننى سوف ألتقى بقوم قد تفتحت عيونهم وعقولهم على متسع من العالم، ومتطور من المدنية، يساعد من اطلع عليه، وعاش فيه، على أن يدرك من حقائق الإسلام وروحه العالمية ما لا يدركه من لم يأخذ بنصيب من الضرب فى الأرض، وقعدت به أيامه فى بقعة ضيقة، وحصرته معيشته فى عدد معدود من الفكر ومن الناس.

وكم كان ـ وما زال ـ عجبى وأسفى أن وجدت غير ما أمّلت. وجدت قوما لم يعرفوا من الإسلام إلا قضايا الشكل، وبعض القضايا الصغرى، وبعض قضايا الاعتقاد. يفهمونها على وجه خاص، ليس ـ بالضرورة ـ ملزما ولا قاطعا. وسوف أتناول بعضها فى حينه، وأقصر القول، الآن، على فهمهم لقضية علاقة المسلم بغيره، وإنه ليحزننى أن يكون من وراء فكرهم من ينتسب إلى العلم الإسلامى ويحمّل بعض مؤهلاته!

٢ـ (الإسلام) رسالة سماوية علمية عالمية، تقررت عالميته

بالقرآن الكريم عندما خاطب الناس أجمعين، وبين أنهم شركاء فيما خلق الله لهم: ﴿**يأيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالا طيبا**﴾ (البقرة: ١٦٨)، ﴿**هو الذى خلق لكم مافى الأرض جميعا**﴾ (البقرة: ٢٩).

وتقررت عالمية الإسلام بقول الرسول ﷺ : «**كان النبى يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة**» (خ، م) وذلك لرحمتهم كما قال الله: ﴿**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**﴾ (الأنبياء: ١٠٧).

وتقررت عالمية الإسلام بفعله ـ عليه السلام، حين خاطب ملوك الأرض ورؤساء الناس، يدعوهم إلى الإسلام، ويحمّلهم إثم أممهم إذا هم لم يسلموا.

وتقررت عالمية الإسلام بفعل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، حين ساحوا فى الأرض من بعده، يحملون الهدى والنور، ويحررون الشعوب من طغيان الحكام، ويخرجون الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، رب العالمين.

٣ـ وكان مقتضى هذه العالمية فى طبيعة الدين الإسلامى أن تكون عقائده وشرائعه، مما يسع الناس أجمعين، وأن يتسع للناس بما هم عليه من اختلاف الطبائع، والعادات، والتقاليد، والمشارب.

ومقتضى عالمية الإسلام، أيضا، ألا يكون فى الإسلام ما يحبس المسلم على نفسه، أو على بنى جنسه، أو ذوى عقيدته ويعزله عن سواهم.

ومقتضى هذه العالمية أن يقيم الإسلام علاقة المسلم بغيره على أساس إنسانى، يؤلف ولا ينفر، ويقرب ولا يباعد، وينبه الفكر، ويوقظ المشاعر .... وكل ذلك قد كان.

ويكفى فيه ـ ما قدمنا قبل ـ أن القرآن الكريم يرد الناس جميعا إلى أبوين اثنين ليجعل من الرحم البعيدة صلة قربة تُبل ببلالها، فتثمر التعارف والتآلف والتكامل، وتستبعد العصبية والتنافر.... بل تكون هذه الرحم الماسة ملتقى تجتمع عنده البشرية، فتتوثق به الصلات، ويتعارف الناس ولا يتناكرون، ويأتلفون ولا يتعادون، يقول الله: ﴿**يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا**﴾ (الحجرات: ١٣)، وكان من دعائه ﷺ عقب الصلاة: «**اللهم ربنا ورب كل شىء، أنا شهيد أنك أنت الرب وحدك لا شريك لك، اللهم ربنا ورب كل شىء أنا شهيد أن محمدا صلى الله عليه وسلم عبدك ورسولك، اللهم ربنا ورب كل شىء، أنا شهيد أن العباد كلهم أخوة**» [أخرجه أبو داود من حديث زيد بن أرقم]. ولفظ (العباد) كما يستخدم خاصا بالمؤمنين، يستخدم، أيضا، عاما للمؤمن والكافر، كما فى قوله: ﴿**والله**

بصير بالعباد﴾ (آل عمران: ١٥). **﴿وهو القاهر فوق عباده﴾** (الأنعام: ١٨، ٦١).

٤ ـ وفى المنهج العملى جعل البر، والعدل، والإحسان قاعدة العلاقة من المسلم لغيره، فقال: **﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾** (النحل: ٩٠)، وقال: **﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين﴾** (الممتحنة: ٨).

وعلى هذا المنهج الإسلامى السامى، والذى تقاصرت عنه أفكار البشر وسلوكهم ونظمهم وسياستهم ـ اتسعت دولة الإسلام، وانبسطت أرضه إلى أدنى الأرض وأقصاها، ودخلت فيه أمم شتى من أبناء الحضارة والبداوة. فلم يضق المسلمون بأهلها على اختلاف أفكارهم، وعاداتهم وتقاليدهم، وأزيائهم. وتباعدت المسافة بين عادات تلك الأمم على قدر تباعد أقطارها، عالم شاسع تباعدت فيه المراسم، وصارت بلاد المسلمين تمثل العالم الإنسانى، فى تنوع أفكاره، واختلاف عاداته، وتعدد ثقافاته، فلم ير المسلمون الأولون فى إسلامهم ما يمنعهم من مشاركة تلك الأمم، أحيانا فى تلك المراسم والأعياد: احتفل المسلمون مع الفرس بعيد النيروز، ونظم فيه القصيد شعراؤهم، كما نظموا فى الصولجان، وفى (النِّبلوفر) ضرب من الرياحين، وكما نظموا فى إيوان كسرى، ذكر حافظ

المغرب أبو عمر بن عبد البر في الاستيعاب: أن معاوية أول من اتخذ ديوان الخاتم، وأمر بهدايا النيروز والمهرجان. وفى كتاب الخراج لأبى يوسف: أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عامله عبد الحميد بن عبد الرحمن فى شأن الخراج: وآمرك ألا تأخذ فى الخراج إلا وزن سبعة، ليس فيها تبر ولا أجور الضرابين ولا إذابة الفضة، ولا هدية النيروز والمهرجان. وشاركوا أقباط مصر فى احتفالهم بوفاء النيل، ولبس المسلمون طيلسان الروم، وذكروه فى أمثالهم وشعرهم فقالوا: أو هى من طيلسان ابن حرب، وأكلوا مع الدهاقين على موائدهم. وتوضأ أبو الدرداء من جرة نصرانية، ومعه سلمان، فسألها أبو الدرداء عن مكان طاهر ليصليا فيه، فقالت: طهرا قلبيكما وصليا حيث شئتما! فقال له سلمان: خذها من غير فقيه! وتعامل المسلمون بالدراهم والدنانير المضروبة فى بلاد غير المسلمين، وأحيانا يكون عليها صور ملوكهم الذين يعظمونهم، وتعامل بها النبى صلى الله عليه وسلم. ولبس ﷺ ثيابا صنعت فى بلاد غير المسلمين. وسكن المسلمون الدور من بناء غير المسلمين، مما بناه القبط والرومان. ونقل المسلمون عن بلاد تلك الحضارات النظم الإدارية والحربية، وترجموا علومهم وفلسفتهم، وأنشأ الخليفة المأمون جامعة (دار الحكمة) ونصب له مديرا من غير المسلمين، وأبقى عمرو بن العاص القبط المصريين فى وظائفهم، وردَّ الاعتبار لقسمهم الأكبر الذى اضطهده

الرومان المسيحيون!

حقق المسلمون بتلك الروح الإسلامية العملية (عالمية الإسلام)، كما حققتها نصوص دينهم قولا.

فعل المسلمون كل ذلك بشرط واحد: ألا يكون شيء منه مناقضا لشيء من الإسلام. وبهذا احتفظ المسلمون بعقيدتهم وشريعتهم وشخصيتهم الإسلامية المتميزة.

فليس فى الإسلام، أن يمجد المسلم عادة موروثة؛ لأنها موروثة، ولا أن يرفض جديدا؛ لأنه جديد، ولا أن يأبى شيئا؛ لأنه من غير المسلمين، إنما يتحرز المسلم ويعتصم بإسلامه من أن تذوب شخصيته فى غير المسلمين، أو يصير إمعة تابعا لغيره. وقاعدتهم فى كل ما تقدم هديه ﷺ العملى والقولى، ومن ذلك قوله الجامع: «**اطلبوا العلم ولو بالصين، فإن طلب العلم فريضة على كل مسلم**» (رواه العقيلى وابن عدىّ والبيهقى وابن عبدالبر عن أنس، وله طرق يقوى بعضها بعضا). ويعلق على هذا الحديث أمير البيان: شكيب أرسلان بقوله: لو كان العلم المراد هو العلم الدينى كما زعم(سيكار) الذى ألف كتابا فى الطعن على الإسلام، والذى يكتب فى مجلة (مراكش الكاثوليكية)- ماكان النبى ﷺ يحث على طلبه ولو فى الصين؛ إذ أهل الصين وثنيون لا يجعلهم النبى مرجعا للعلم الدينى، كما لا يخفى.

٥ـ بهذا البيان تتضح الصورة الصحيحة لحقيقة الإسلام العالمية، وتفتح المسلمين على العالمين، بمنهج عملى، وفكر اعتقادى يفتح القلوب، ويحرك المشاعر، وينبه العقول، ويعرف بإنسانية الإسلام. إن أكثر ما يجذب غير المسلم إلى الإسلام ليس شيئا جزئيا، إنما هو هذا المجموع الكلى المتناسق من التعاليم الروحية من جانب، والتى هى من جانب آخر ترسم منهاجا عمليا للحياة. الإسلام بناء محكم، كل جزء منه يشد أزر كل جزء آخر، ثم تؤدى الجزئيات كلها إلى توازن كامل متكامل فى النظر والعمل. وتلك خاصة الإسلام!

٦ـ انتبهوا أيها المسلمون بين ظهرانى غير المسلمين !

ـ أى دين هذا الذى تقدمه لغيرك، إذا كنت تعيش على أرضه، وتأكل من خيره وتحتمى بقوانينه... ثم تجفل عن تحيته، وتزعم أن هذا من الإسلام ؟!

ـ أى دين هذا الذى تفتى باسمه: أنه تجوز خيانته، وقد رضيك على أرضه، وأسكنك بيته، وأفسح لك فى داره، تبتغى الأمن والرزق من ثمره ؟!

ـ أى دين هذا الذى تزعم باسمه أنه تحل لك سرقة ماله، والفرار من ضريبته ؟! هل يستطيع عدو للإسلام والمسلمين أن يقدم صورة شوهاء عن الإسلام وأهله أقبح من هذه الصورة ؟!

إن تحية الإسلام: السلام عليكم أعظم شأنا من مجرد التهنئة بعيد أو تقليد..

إن نبى الإسلام، المرسل إلى الناس كافة، قال فى بيان: أى الإسلام خير: «**أن تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف**» هل انتبهتم أيها الغافلون: «**على من عرفت ومن لم تعرف**». وفى البخارى عن عمار: «**ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان: الإنصاف من نفسك، والإنفاق من إقتار، وبذل السلام للعالم**» هل انتبهتم أيها المتعالمون، الذين يضربون بتعالمهم دينهم، وينفرون منه: «**وبذل السلام للعالم**» !

ألا إنكم فى غمرة التعالم، تقولون بلسان الحال غير ما قال القرآن، وغير ما قررت سنة رسول القرآن، وغير ما عمل به أصحاب رسول القرآن، وصدق رسول الله: «**إن منكم منفرين**».

فتداركوا أنفسكم، واسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون. أم إنكم لا تعلمون أنكم تجهلون ؟ إذن فتلك مصيبة أفدح من مصيبة الجهل، إنه الجهل المركب !!

ولو كان هما واحدا لاحتملته ولكنه هم، وثان، وثالث

الفهرس

دار الكلمة للنشر والتوزيع مصر المنصورة

دار الكلمة للنشر والتوزيع

٣٨ ش الثورة (السكة الجديدة) ت ، ف: ٣٤٣١١٥ ص. ب: ١٦٧